Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
E-ISSN: 2959-6505
Volume 2, Issue 3, July - September 2024, Page No: 111-119
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2023: 3.908 **معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.51** **ISI 2023: 0.337**

التأثير السياسي للأندلسيين في بلاد المغرب الأدنى ما بين القرنين 7 إلى 9 هـ / 13 إلى 15 م

امنينه صالحين فرج بونعجة [1*]، مختار رحيل شقاف [2]
[1،2] قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

The political influence of the Andalusians in the lower Maghreb between the 7th and 9th centuries AH / 13th to 15AD centuries

Emneina Ssalhein Faraj Abonaja [1*]، Mokhtar Rheel Mokhtar [2]
[1،2] Department of History، Faculty of Arts، Bani Waleed University، Bani Walid، Libya

*Corresponding author amynabomaga@bwu.edu.ly *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-05-22 **تاريخ القبول:** 2024-07-12 **تاريخ النشر:** 2024-07-20

الملخص
شهدت بلاد المغرب الأدنى أحداثًا تاريخية عديدة ومهمة، صنعت مساره التاريخي وتنوعت تلك الأحداث من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية؛ وهذه الورقة تتناول أحد أهم هذه الأحداث وهي هجرة الأندلسيين وتأثير هجرتهم في المجال السياسي لبلاد المغرب الأدنى ما بين القرنين السابع إلى التاسع الهجري / الثالث إلى الخامس عشر الميلادي؛ وهي فترة اعقبت سقوط غرناطة وظهور محاكم التفتيش حيث تحولت حركة الهجرة إلى هجرات جماعية ساهمت في الازدهار الحضاري لبلاد المغرب الأدنى بفضل ما حملوه معهم من معارف وعلوم في شتى المجالات، ولقد شمل التأثير جميع مناحي الحياة وسنركز في هذه الورقة البحثية على المجال السياسي حيث تقلد الأندلسيون عدة وظائف إدارية مهمة كالوزارة والحجابة والدواوين والقضاء وغيرها من الوظائف.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأدنى، المهاجرون الأندلسيون، التأثير السياسي.

Abstract
The Lower Maghreb witnessed many important historical events that shaped its historical course. These events varied from political, economic, social and cultural levels. This paper deals with one of the most important events, the migration of the Andalusians and the impact of their migration on the political sphere of the lower Maghreb between the seventh to ninth centuries AH / the third to fifteenth centuries AD. This period followed the fall of Granada and the emergence of the Inquisition when the migration movement turned into mass migrations that contributed to the cultural prosperity of the lower Maghreb thanks to the knowledge and sciences they carried with them in various fields. The influence included all aspects of life, and we will focus in this research paper on the political field, where the Andalusians imitated Several important administrative positions, such as the ministry, the court, offices, the judiciary, and other positions.

Keywords: Lower Maghreb, Andalusian Immigrants, Political Influence.

المقدمة:

اكتسب موضوع الهجرة والتأثيرات التي أورتها الأندلسيون المهاجرون والمهجرون في منطقة المغرب الأدنى باهتمام كبير لذى الباحثين والدارسين لأنها تمثل في نقل صورة التباين الحضاري بأشكاله الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية بين مجتمعين تباعد بينهما عوامل جغرافية وزمنية، تركزت هذه الدراسة على التأثيرات التي صنعتها الهجرات الطوعية الفردية منها والجماعية، وكذلك الهجرات القسرية، خاصةً في الفترة ما بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ /1492م وهذا أخر حصن عربي اسلامي في شبه الجزيرة الأندلسية، آخر ما تبقى من بلاد الأندلس للعرب، إذ أرتحل الأندلسيون وليس هناك سوى العدوة المغربية أمامهم، وتواصلت سيولهم ربما نحو المجهول تخلصا من اضطهاد محاكم التفتيش، فاستمرت أمواج العابرين تتوالى وخاصة بعد أن نقض ملوك اسبانيا عهود الصلح والمواثيق التي ابرمت مع سكان غرناطة فاستطالوا عليهم وفرضت عليهم المغارم الثقيلة واجبروا على الخروج إلى الأرياف والقرى وأخذت أملاكهم وانتزعت أسلحتهم وصودرت معاملهم.

وهكذا يتحدد الإطار العام للدراسة على التأثير السياسي للأندلسيين في منطقة تونس وليبيا وقسمت الدراسة إلى:

المبحث الأول:

دوافع الهجرات الأندلسية لمنطقي تونس وليبيا

المبحث الثاني:

دور المهاجرين الأندلسيين والحياة السياسية في تونس وليبيا

المبحث الثالث:

دور الأندلسيين الجهادي في المنطقة

المبحث الرابع:

المساهمة الأندلسية في العمليات البحرية في البحر المتوسط

المبحث الأول:

دوافع الهجرات الأندلسية لمنطقتي تونس وليبيا

أما عن دوافع الهجرة سواء كانت فردية أو جماعية يمكن إجمالها في الآتي:

1- الإصرار المسيحي لاجتياح مدن الأندلس: الذي عبرت عنه حركة الاسترداد شكل عامل ضغط على الأندلسيين للبحث عن مكان آمن ومستقر فلم يكن أمامهم سوى المغرب وخصوصا بعد سقوط المدن تباعا بياسة -وقرطبة – بلنسية – شاطبة[1]، يقول ابن خلدون: (فلما تكالب الطاغية على وأفريقية)[2]

2- سقوط مملكة غرناطة: إذ تهاوت غرناطة تحث ضربات تحالف الممالك الإسبانية سنة 897هـ / 1492م فنزح عدد كبير من الأندلسيين سواء أهل غرناطة أو من أهل المدن التي سبق أن سقطت بأيدي القشتاليين فالتجاؤ حينها إلى غرناطة وهاجروا إلى العدوة المغربية [3]

3- نقض الإسبان لشروط صلح التسليم: بادر الإسبان إلى التنكيل بمن آثر البقاء تحث ودهم وسلطتهم فجرت محاولة تنصيرهم بالقوة [4] ولعل من أهم البنود التي احتواها هذا الصلح ((يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدوة أو أي مكان آخر من أهالي غرناطة والمناطق الاخرى التابعة لمملكة غرناطة بيع ممتلكاتهم وأراضيهم متى شاءوا، ولن يحول صاحب السمو ودريتهم منعهم من ذلك [5]، وغير ذلك من البنود التي أستطاع بها الإسبان الالتفاف علي أهل غرناطة وأخذو في نقضها مما أضطر الكثير منهم إلى الهجرة والفرار إلى بر العدوة أو اللجوء إلى الثورة كثورة البيازين 904هـ /1499م ثورة البشرات906هـ / 1521م وثورة الجبل

[1] -ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب، بيروت، ج6، ص98

[2] ـ المصدر نفسه، ح6، ص97

[3] ـ المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق احسان عباس، بيروت، لبنان، 1968م، ج6، ص277

[4] ـ لطفي عبد البديع: الإسلام في اسبانيا، ص69

[5] ـ الكينودي: الأندلس مدرسة تاريخية، الرباط، د ت، ص 4 ص11

الأحمر في غربي رندة 977هـ / 1570م[6] حيث استطاعت القوات الإسبانية إخمادها وبكل وحشية واضطهدت الثائرين وخيرتهم بين التنصير القسري أو التهجير خارج اسبانيا [7]، كما أصدر الإسبان قوانين تحرم علي الأندلسيين ممارسة عقائدهم ولغتهم وإحراز السلاح وامتلاكه[8]، وفي خطهم هذه القوانين والأوامر الجائرة أصدرت الملكة إيزابيلا مرسومها الشهير الذي يقضي بأن يختار جميع الأندلسيين إما التنصير أو الرحيل، ويسمح لمن يرغب بالرحيل بيع عقاراته وأملاكه عدا إخراج الذهب والفضة[9] ، ثم تتابعت المراسيم المجحفة بحق تنصير جميع المسلمين الذين تمسكوا بالإسلام وإخراج كل من يرفض ذلك، كما نص على قرار النفي من مدينة غرناطة إلى المدن الاخرى وتحريم التخاطب باللغة العربية وارتداء الثياب العربية [10]، وغيرها من القرارات والتي كان آخرها قرار النفي الذي أصدره الملك فيليب الثالث سنة 1018هـ /22شنتمبر1609م والذي يقضي بنفي المسلمين في الأندلس نفياً نهائياً، ويتضح هنا مدى الدور الفعال الذي لعبته القرارات والمراسيم التي أطلقها ملوك الإسبان لتهجير اعداد غفيرة من الأندلسيين الذين هجروا قسرا أو آثروا الفرار مهاجرين بأنفسهم ودينهم [11] .

4- الروابط بين الأندلسيين والمغاربة: تعمقت هذه الروابط وتوطدت بتولي بني حفص السلطة في المغرب الأذني فتكونت بين الطرفين علاقات طيبة وخاصة مع أهل إشبيلية [12]، اما العلاقات التي قامت على أساس المصاهرات بين أسر شهيرة في غرناطة وفي أفريقية فقد أشار إلى توطيدها وأهميتها عدة مصادر[13]

5- فتاوي الائمة والفقهاء: اتفق أغلب الائمة والفقهاء على تحريم بقاء المسلمين في أرض الكفر مما أُعتبر تحريضاً مباشراً على الهجرة وأهم هذه الفتاوي ما جاء عند الونشريسي* التي أتت كرد فعل على سقوط غرناطة ونهاية الإسلام فيها فحث المسلمين في الأندلس على الخروج منها إلى دار الإسلام فقال في إحدى فتاويه:" الواجب على كل مؤمن البعد والفرار عن مساكن أعاء حبيب الرحمن.. وبأن من آثر منهم الاقامة في دار الشرك كأن ذلك يوجب له خزي الدنيا والآخرة وينزله أسوأ المنازل " [14]

6- سيادة الأمن والاستقرار في بلاد المغرب وإفريقية: يشير العبدري في هذا الصدد إلى أن المهاجرين كانوا يجدون ملاذاً أمناً في العدوة المغربية وفي بلاد أفريقية ويؤكد ابن خلدون بقوله: (وشاركوا أهل العمران بما لديهم من المصالح وتعلقوا بأذيال أهل الدولة)[15]

والظاهر أن الأمراء الحفصيين كانوا يعولون على الأندلسيين المهاجريين أكثر من أهل البلاد وأشياخ الموحدين لعدة أسباب ولعل من بينها التسليم بمقدرتهم ونفودهم وكذلك تقرباً منهم لاكتساب مودتهم ولتخفيف معاناتهم[16]، فضلاً عن محاولة أبي زكرياء الحفصي لتكوين عصبة موالية له بعيداً عن أشياخ الموحدين وأهل البلاد[17].

---

[6] ـ المقري: ازهار الرياض، ج6، ص277

[7] ـ عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخاتمي، القاهرة 1966م، ص244.

[8] ـ شارلس هنري: العرب المسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ترجمة رأفت عبد الحميد، عين للدراسات الاجتماعية، القاهرة 1997، ص100.

[9] ـ عبد الرحمن الحجي: التاريخ الإسلامي مند الفتح حتى سقوط غرناطة، دار العلم، دمشق، 1987م، ص272

[10] ـ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص392

[11] ـ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص355 ص359

[12] ـ شارلس هنري: المرجع السابق، ص12

[13] ـ ابن خلدون: العبر، ج6، ص267

* هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الفقيه وله مؤلفات عديدة منها المعيار المغرب الجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب ولد834هـ 914هـ / 1431-1508م، سمي بالونشريسي نسبة إلى قرية ونشريس بناحية بجاية بالجزائر، ويعرف بأبي عباس النعماني (التمبكتي: نبل الابتهاج بتطوير الديباج تقديم عبد الحميد الهرامة، منشورات الدعوة الاسلامية، طرابلس،1989م، ص87

[14] ـ الونشريسي: المفاجر في بيان الاحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، تح حسن مؤنس، مكتبة الثقافة العربية، مصر،1969م، ص5

[15] ـ ابن خلدون: المقدمة، ص75

[16] ـ ابن الآبار: الحلة السيراء، حسن مؤنس، القاهرة، 1963، ص40.

[17] ـ المطوي: السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1986م، ص256.

أشرف بعض الاندلسيين على الشؤون المالية في الدولة الحفصية وعرف صاحب هذا المنصب (بصاحب الاشغال*)، ثم تولاه أبو عثمان سعيد بن أبيَ في عهد الامير المستنصر بالله الحفصي[18]، كما تولاه أبوبكر محمد بن خلدون في عهد الأمير ابن إسحاق بن الواثق678هـ /1283م[19].

ونجد في بعض المصادر أن بعض الأندلسيين تولوا أعداداً من الوظائف مثل وظيفة جباية الأموال ووظيفة الحجابة*، وهذه المناصب لا تخلوا من استعمال الشدة في تنفيذ متطلباتها فمثلاً أستعمل أبو عبد الرحمن يعقوب بن عمر السلمي من أهل شاطبة بجباية الأموال في الثغور الغربية في القرن السابع الهجري[20]

مما شهدته من استقرار ومناعة نسبية في تلك الحقبة إذ ما قورنت بجيرانها حيث الإضرابات والمنازعات[21]

7- العامل الديموغرافي:- كان المغرب الأدنى منطقة جدب للمهاجرين والمسافرين والتجار والزائرين، وذلك بالرغم من النزاعات والصراعات بين الموحدين وبني غانية والتي استمرت مدة نصف قرن تقريباً [22]، زد على ذلك الفوضى والثورات التي قامت ضد الحفصيين وغارات الدول الأوروبية وما نتج عنها من نقص واضح من العناصر البشرية، وتلث الاوبئة والمجاعات *التي فتكت بأعداد كبيرة من السكان فأنتفض عمران الأرض بانتفاض البشر[23]، فضلاً عن حاجة المنطقة إلى الخيرات والكفاءات المتميزة من الأندلس مما يجعل أصحابها يتطلعون للهجرة إليها لتعميرها ولاستقرار فيها وحقنها بدماء جديدة تساهم في مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والمعمارية والحضارية .

المبحث الثاني:

دور المهاجرين الأندلسيين في الحياة السياسية في تونس وليبيا

يتضح هذا التأثير من خلال الدور الذي قاموا به في توجيه السياسة وإدارة الدول التي حلوا فيها، ففي عهد الحفصيين وخاصة أيام الأمير ابي زكرياء الحفصي مؤسس الدولة الحفصية، كانوا بمثابة المستشارين مما ساعدهم علي تولي المناصب والوظائف العلياء واستطاعوا أن ينافسوا في هذا الامر شيوخ الموحدين وأكابرهم ونفودهم في الدولة فضلاً عن أهل البلاد الذين كانوا ينظرون إليهم نظرةً فيها شيء من عدم الرضاء لتمويه الأوضاع لصالحهم[24].

وكان من تولى منصب (الحجابة*) العلامة ابن خلدون إثر رجوعه من غرناطة[25].

أما ديوان الإنشاء والكتابة فقد تقلده أبو اسحق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم النميري الغرناطي المعروف بابن الحاج[26]، كما اتخذ سفيراً فيما بعد لبعض أمراء بني حفص ومن تولى إدارة ديوان الإنشاء والكتابة من أهل الأندلس، أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي وكذلك خالد بن عيسى البلوي[27]،

---

* ـ تحدث ابن خلدون عن هذا المنصب قائلاً ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ومحاسب ومستخلص الاموال ويعاقب على التفريط، العبر، ج6، ص685

[18] ـ ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص689

[19] ـ ابن خلدون: المقدمة، ص204

[20] ـ حسن مؤنس: المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، ج2، كلية العلوم الانسانية، تونس، 1999م، ص578

[21] ـ العبدري: رحلة العبدري الرحلة المغربية، تح أحمد بن واد، الجزائر، دت، ص35

[22] ـ المطوي: المرجع السابق، ص115

* حلت الحوائج والمجاعات والأوبئة طيلة القرن الثامن الهجري حتى بلغت ذروتها في أواسط ذلك القرن مع ظهور الطاعون الجارف الذي تفشى في العهد الحفصي، مجلة تاريخ العرب والعالم، بيروت، السنة الرابعة، العدد41 مارس 1981، ض89

[23] ـ الدولاني عبد العزيز: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار كراس للنشر، تونس، 1981م، ص89

[24] ـ المطوي: السلطنة الحفصية، المرجع السابق، ص 213

* استحدثت هذه الوظيفة في عهد الامير ابن اسحق ابراهيم، الذي اتخذ من أبي القاسم بن الشح الاندلسي من اهل دانيا حاجبا له، الغبريني، عنوان الراية، ص269

[25] ـ ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979م، ص217

[26] ـ المقري: نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، بيروت، لبنان، 1968م، ج6، ص315 ص316

[27] ـ هو صاحب كتاب تاج المفرق تحلية علماء المشرق، توفى سنة 1369م، الحمريت علي تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة الكتاب، تونس، 1971م.

وفي عهد الأمير أبي يحي بن زكرياء[28]، كما تولى المؤرخ أبن الآبار في عهد الأمير المستنصر بالله الحفصي وظيفة الكتابة والعلام*ة[29]،وكذلك أبوالقاسم محمد بن يحي البرجي سنة 786هـ /1384م.
وإلى جانب هذه المناصب تولى بعض فقهاء الأندلس وظيفة (قضاء المظالم) في الدولة الحفصية، كما تولى بعض قضاة الأندلس (خطة القضاة) التي تقلدها أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي في عهد الأمير المستنصر بالله والذي كان مقرباً إليه ومن أخص جلسائه[30].
وهكذا استمرت بعض الأسر والعائلات الأندلسية المهاجرة في اللاط واشتغالهم في السياسة طوال حقبة غير قصيرة، وذلك بالرغم من النزاعات والمنافسات فيما بينها أو بين غيرها من الفئات الأخرى[31]، مثل عائلة ابن خلدون التي بقيت وفيَة للدولة الحفصية فكان الحسن بن محمد خلدون قد قوبل بالترحاب وحسن الوفادة من قبل الأمير الحفصي المستنصر بالله وقطعت له الإقطاعات وذلك بعد سقوط مدينة إشبيلية سنة 640هـ م1247م، كما تولى ابنه بعده وظيفة الأشغال في عهد الأمير أبي أسحق إبراهيم وبعد وفاته تنقل ابنه محمد بن محمد أبي بكر في وظائف عدة من الحجابة إلى قيادة وخلفه حفيده عبدالرحمن الذي تولى منصب الكتابة والحجابة وغيرها حتي سنة 1382م وانتقاله إلى مصر[32].
أما المناصب العسكرية التي اشتغلها الأندلسيون في الدولة الحفصية فكانت تستهدف منها الدولة الحفصية تعزيز قواتها الحربية بوحدات مسلحة وكذلك لحاجتهم إلى حراس شخصيين لا يشك في إخلاصهم [33]، وقد الحق الجيش الحفصي جنداً أندلسيون فشاركوا في التصدي لحملة لويس التاسع ملك فرنسا علي مرسى قرطاج في سنة 668هـ م1270م، بقيادة أبن أبي الحسن[34].
ويؤكد ابن خلدون في هذا الصدد (أن سواحل رادس قد ملئت بالمرابطة من جند الأندلس والمطوعة زهاء أربعة ألاف فارس[35].
احتل الجند الأندلسيون مكانة متميزة في الجيش الحفصي فكانوا يرتدون زياً خاصاً بهم[36]، ومن الملاحظ أن الأندلسيين في القرى والمدن التي استقروا فيها، حافظوا على شبه استقلال داخلي أدخلوا عليه الطابع الإسباني السائد في تنظيم السلطة فمثلاً في بلدة تشور وجد هناك (الكوبرنادور) cobernador أي الحاكم بالإسبانية والقوازيل Allcucil أي الوزير وأصبح لهم فيما بعد ما يعرف (شيخ الأندلس) وحي عرف بحي الأندلس أو حومة الأندلس أو زقاق الأندلس فأصبحت المدن التي استقروا فيها تنقسم إلى عدة أحياء، كل حي يحمل اسم المجموعة المستقرة فيه[37].
تولى عدد من الأندلسيين وظائف القضاء والإفتاء ولإمامة أمثال الشيخ أبو طالب الشيخ ساسي بن محمد الأندلسي والشيخ أبوعبدالله بن محمد الأندلسي الذي تولى الأمانة بالجامع الكبير في مدينة الزيتونة الذي تولى سنة 1161هـ /1748م والشيخ حسن الثوغار[38].
كما لعب الأندلسيون دوراً بارزاً في المنطقة فعلى سبيل المثال استطاع العثمانيون بسط سيطرتهم على إقليم برقة بمساعدتهم، فأورد المؤرخون اشارات تثبيت ذلك بأن طلب وإلى طرابلس قاسم باشا الذي زامن عهده رمضان داي 1040هـ /1630م وأثناء عودته إلى القسطنطينية ماراً ببرقة ومطلعاً على أحوالها من الصدر

---

[28] ÷ ابن الخطيب: الاحاطة في اعمال غرناطة، ج2، ص500ص501
* العلامة: كانت سامية في دولة الحفصيين وهي وضع الحم دلله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها بمخاطبة او مرسوم وهي علامتان صغرى وكبرى فالكبرى للملك.
[29] ـ ابن الاحمر: مستودع العلامة، تح محمد التركي، تطوان، 1964م، ص56
[30] ـ ابن الخطيب: الاحاطة في اعمل غرناطة، ج1، ص177
[31] ـ ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص77ص78
[32] ـ ابن القنفد: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تونس، ص157
[33] ـ المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص137
[34] ـ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ج6، ص668
[35] ـ حسن مؤنس: المدينة والبادية، المرجع السابق، ص588
[36] ـ التركي عبد المجيد: وثائق عن الهجرة الاندلسية، الحوليات التونسية، العدد 4،1967م، ص60
[37] ـ المرجع نفسه، ص60
[38] ـ مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، 1350هـ، ص282ص292-345

الأعظم الترخيص له بالاستيلاء عليها باسم السلطان واستقر بمساعدة الأندلسيين قرب أثار قورينا على مقربة من درنة[39]
ولكن ضعف الوجود التركي في الإقليم شجع الأندلسيين على التمرد، ومحاولة تكوين دولة مستقلة عن إقليم طرابلس وتحريض الأهالي على الثورة[40]، وهكذا كما نقل الأندلسيون تأثيراتهم الإيجابية في المجتمعات التي حلوا بها، فإنهم أيضاً تركوا تحاك ضدهم أو هم مفتعلوها، اوصلت أصحابها إلى الموت [41]، والتعذيب أو العزل ومصادرة الأموال، فأتقن هؤلاء المهاجرون هذه الأساليب مع منافسيهم، سواء من أبناء جلدتهم أو مع أهل البلاد، حتى أنهم تسببوا في إضعاف البلاط الحفصي[42].

المبحث الثالث:

الدور الجهادي للأندلسيين بمنطقة المغرب الأدنى

لعب الأندلسيين دوراً كبيراً في العمليات البحرية في البحر المتوسط نتيجة توافر عوامل كثيرة دفعت بأعداد كبيرة من هؤلاء البحارة إلى طريق الجهاد ضد القوى المسيحية في البحر المتوسط[43] ولعل الدافع الديني يأتي في مقدمة الدوافع بسبب الصراع بين الإسلام والمسيحية الذي بدأه الاسبان بإخراج المسلمين من الأندلس وملاحقتهم [44]، مع البرتغاليين في الشمال الأفريقي[45]،

لذلك نشأت الانتقام لدى المسلمين لما نزل بهم من اضطهاد، فوجدوا في البحر والغارات البحرية ملاذاً للانتقام من اعدائهم، وقد اتخذوا من تونس وليبيا مرسى لهم للإقلاع [46]، فقد تمكن المجاهدون من إنقاد إخوانهم الذين مازالوا يعانون الاضطهاد في الأندلس، ونقل جماعات كبيرة منهم إلى شواطئ شمال أفريقيا[47]، ويتضح أن الحفصيين كانوا يشجعون النشاط البحري والتجارة البحرية فاستفادوا من التجار الأجانب أرباحاً هائلة.

لدى يمكن القول أن الحفصيين كانوا يتبنون النشاطات الجهادية التي كان يقوم بها الأندلسيون في عرض البحر ويدفعونهم إلى المزيد منها، كما استفادوا من خبرات المجاهدين الأندلسيين في أساليب النشاط البحري إلى جانب بناء الابراج واستخدام المدافع وتشييد المنصات التي ينطلقون منها على العدو، وصار أهل الأندلس بعد مرور فترة زمنية يسافرون في البحر مع أهل المغرب وضيقوا على النصارى أشد تضييق وكثرة الغنائم[48]

اما ما ذكر عن دور عروج[49]، وخير الدين بر بروسا فإنه يؤكد حرصهما على الجهاد ومقاومة أطماع اسبانيا والبرتغال في شمال أفريقيا فأبلى الرجلان في الجهاد البحري ضد نصارى اسبانيا، وأصبح بفضلهما لحركة الجهاد البحري في القرن السادس عشر الميلادي[50].

---

[39] ـ عبد السلام محمد الحراري: ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنيين السادس والسابع الميلادي، شعبة التثقيف والاعلام، طرابلس، 1998م، ص296

[40] ـ بازامة محمد مصطفى: بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا للنشر، بنغازي،1968م، ص235-254

[41] ـ كما حدث لابن الآبار الاندلسي، وابن عصفور الاول مات حرقاً والثاني مات غرقاً

[42] ـالتركي عبد المجيد: قضايا ثقافية من تاريخ المغرب الاسلامي، دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1980م، ص61

[43] ـ عبد النبي أبوغرارة: النشاط الصليبي في المغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المرقب،2003، ص45

[44] ـ اتجه الاسبان بعد سقوط الاندلس إلى بسط سيطرتهم على تلك المناطق في الشمال الافريقي فاحتلوا المرسى الكبير غرب الجزائر 910هـ /1504م واستولوا على مدن وهران 914هـ /1508م وبجاية 915هـ /1509م متطلعين بعد ذلك إلى ثغور تونس وطرابلس

[45] ـ على محمد حمودة: تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص302

[46] ـ عبد الله عنان: نهاية الاندلس، مرجع سابق، ص384

[47] ـ على محمد حمودة: تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ص302

[48] ـ مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، نشر جورج كولان، الرباط، 1934م، ص 53

[49] ـ عروج (1473-1518م) عروج بضم العين وضم الراء وهو الابن الاكبر ليعقوب بن يوسف أحد المجاهدين الاتراك الذين اتخذوا من جزيرة مرسى ببحر ايجه مقر اقامة هو واسرته وأمه سيدة اندلسية وكان اول اتصال لعروج بالشمال الافريقي في بداية القرن السادس عشر الميلادي، حيث تحصل على تسهيلات بحرية في الموانئ الحفصية مقابل حصول السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد على خمس الغنائم من الغزوات ضد النصارى، ينظر أبوغرير يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا(1500-1830م)، دار المطبوعات الجامعية، دت، ص34

[50] ـ المرجع نفسه، ص34

المبحث الرابع:
إسهامات الأندلسيين في العمليات البحرية في البحر المتوسط

أما النشاط الذي مارسه أمير البحر التركي درغوث باشا[51]، على الشواطئ الإسبانية بعد خير الدين بر بروسا المتوفي في الخامس من جمادي الأولى يوليو1540م بلغت الغارات البحرية ثلاثاً وثلاثين غارة بين سنتي 935هـ - 992هـ /1528- 1584م، وكان جل اعتماد البحارة الأتراك على المغامرين الأندلسيين[52]،
فشدد هؤلاء من عملياتهم الحربية ضد الإسبان في الشمال الأفريقي حتى استطاعوا السيطرة على المهدية وطرابلس وطرد فرسان القديس يوحنا منها سنة 958هـ /1551م[53]، وشجعت الدولة العثمانية متمثلة في ولاتها الأندلسيين على الجهاد البحري الذي يدر عليهم أموالاً وموارد غير محسوبة فالضرائب المفروضة لم تكن تكفي لسد حاجيات جيوش الانكشارية وطلباتهم المتزايدة، وظلت الدولة العثمانية تدفع بالأندلسيين وأحياناً تمولهم في البداية لممارسة هذا النشاط ضد السفن التجارية الإسبانية[54]، ونتيجة لازدياد أعداد المهاجرين الأندلسيين ولحاجتهم إلى هذا النشاط توسع الاسطول العثماني في الولايات الأفريقية والبحر المتوسط توسعاً كبيراً وازدادت قطعه وأصبح متفوقاً على الأساطيل الأخرى لمعرفة الأندلسيين بفنون الملاحة وصناعة السفن واطلاعهم على طبيعة السواحل الأوروبية المقابلة[55].
وقد ساهم الأندلسيين المستقرون في المدن الساحلية في تأسيس القواعد الحربية وصناعة المراكب وتدريب الأهالي على المدفعية وركوب البحر[56]،فعلى سبيل المثال قام الأندلسيون المقيمين في مدينة درنة وبنغازي تدعيم الجهاد البحري ضد المسيحيين فجعلوا من مدينة بنغازي مركزاً شرقياً للجهاد الطرابلسي[57].
ظهور عدة رياس البحر من أصل أندلسي.
نتيجة لمواصلة الجهاد البحري للأندلسيين فقد ظهر منهم مجاهدون صعدوا حركة الجهاد البحري ضد الإسبان أمثال الريس بلانكيوBlanguillo والريس أحمد أبوعلي من لشبونة، ومراد الكبير، جواد يانو حيث أبلى هؤلاء بلاءاً حسناً في البحر[58]، فكانوا افصل دليل ومرشد لأحكام العمليات العسكرية لمعرفتهم المسبقة بتلك المنطقة[59].
فوجد هؤلاء في الجهاد البحري وسيلة مثلى للانتقام وفي نفس الوقت لاسترداد قيمة أموالهم الضائعة بطريقة أو بأخرى الأمر الذي أعطى قوة جديدة وتطوراً واضحاً لهذا النشاط[60]، فقد عوضت السفن الكبيرة والسريعة في وقت قصير السفن الحربية الصغيرة فشاع استعمال الشراع إضافة إلى السفن التي تعتمد على التجديف مما زاد في مجال عمل البحرية المغربية التي أصبحت أكثر تطوراً من ذي قبل[61].
كما ظهر الريس إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي[62]، المعروف بالرباش حيث ألف كتاباً بالإسبانية موسوماً بكتاب (العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع)[63].

---

[51] ـ أحد رفاق خير الدين بربروسا ولد سنة 890هـ / 1482م لاب يدعى ولي، مارس العمل البحري مند طفولته وأصبح بحاراً ذا صيت، واتخذ من جزيرة جربة والمهدية مقراً لنشاطه وأطلق عليه أمير افريقيا، استشهد في احدى المعارك في مالطا 1565م، ينظر ابن غلبون: التذكار، ص127

[52] ـ تشارلس هنري: العرب المسلمون في الاندلس، مرجع سابق، ص 165

[53] ـ شارل فيرو: الحوليات الليبية، ترجمة عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي وط4، 1998م، ص99

[54] ـ عبد الله عنان: نهاية الاندلس، ص382

[55] ـ أحمد سعيد سالم: البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القره ما نلي (1795-1832م) كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الفاتح، طرابلس، 1995م، ص53

[56] ـ عبد الله عنان: نهاية الاندلس، المرجع السابق، ص390

[57] ـ شارل فيرو: الحوليات الليبية، ص 232

[58] ـ عبد الله عنان: نهاية الاندلس، المرجع السابق، ص388 ـ 389

[59] ـ شارلس هنري: العرب والمسلمون في الاندلس، المرجع السابق،ص164

[60] ـ كواندور: قراصنة سلا، تعريب محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب ودت، ص 18

[61] ـ امحمد سعيد سالم الطويل: البحرية الطرابلسية، المرجع السابق، ص 75

[62] ـ عرف بالرباش هو ابراهيم بن غانم اندلسي من غرناطة، هاجر مع المطرودين سنة 1609م في عهد عثمان داي، عبد المجيد التركي؛ قضايا ثقافية من تاريخ المغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص126

[63] ـ المرجع نفسه ص 126

وهكذا يمكننا القول إن الأندلسيون ساهموا بكل خبراتهم وقوتهم في تقوية البحرية العثمانية في شمال أفريقيا فساهموا في وضع التحصينات وبناء الأبراج، والأسوار حول المدن الساحلية التي سكنوها ورابطوا فيها للجهاد والمدافعة[64].

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

1- بعد سقوط الأندلس نشطت الهجرات الفردية والجماعية.
2- بدأت هجرة الأندلسيين مند اواخر القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي انطلاقاً من الجزر الشرقية الأندلسية حيث استقرت بمدن المغرب الأدنى وأدت دوراً مهماً في الحياة السياسية فيها.
3- عقب سقوط غرناطة كان خط سير المهاجرين نحو المغرب الأدنى والاستقرار في مدن عدة منها القيروان وسوسة ثم امتد خط سيرها نحو ليبيا فطرقت أبواب مدن عدة مثل طرابلس والخمس ومصراته وبنغازي ودرنة.
4- حظوا المهاجرين الأندلسيين برعاية ولاة الأمر الحفصيين أومن خلفهم من الأتراك.
5- لعب الأندلسيين دوراً بارزاً في تنشيط حركة الجهاد البحري، إذ أتخدوا ذلك سلاحاً لهم في عرض البحر انتقاماً من اعدائهم الاسبان والاوروبيين وأسسوا القواعد الحربية وصنعوا المراكب والسفن وطوروا فيها وعلموا أهل المغرب الأدنى ركوب البحر واستعمال الأسلحة.

المراجع

1- ابن الآبار: الحلة السيراء، تح حسن مؤنس، القاهرة، 1963.
2- ابن الاحمر: مستودع العلامة، تح محمد التركي، تطوان، 1964م.
3- ابن الخطيب: الاحاطة في اعمال غرناطة، ج2
4- ابن غلبون: التذكار
5- ابن خلدون: المقدمة، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغربًا، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979م.
6- المقري: نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس، بيروت، لبنان، 1968م، ج6
7- المطوي: السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1986م.
8- العبدري: رحلة العبدري الرحلة المغربية، تح أحمد بن واد، الجزائر، دت
9- شارل فيرو: الحوليات الليبية، ترجمة عبد الكريم الوافي، جامعة قاريونس، بنغازي وط4، 1998م
10-شارلس هنري: العرب المسلمون في الاندلس بعد سقوط غرناطة، دار العلم، دمشق،1987م
11-ابن القنفد: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تونس، 1968م.
12-عبد الله عنان: نهاية الاندلس، مكتبة الخاتمي، القاهرة، 1966م.
13-مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، نشر جورج كولان، الرباط، 1934م
14-التركي عبد المجيد: وثائق عن الهجرة الاندلسية، الحوليات التونسية، العدد 4،1967م
15-قضايا ثقافية من تاريخ المغرب الاسلامي، دار المغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1980م
16-أحمد سعيد سالم: البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القره ما نلي (1795-1832م) كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الفاتح، طرابلس، 1995م
17- أبوغرير يحي: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك اوروبا(1500-1830م)، دار المطبوعات الجامعية،دت
18- حسن مؤنس: المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي، ج2، كلية العلوم الانسانية، تونس، 1999م
19- على محمد حمودة: تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي
20- عبد النبي أبوغرارة: النشاط الصليبي في المغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المرقب،2003م
21- عبد السلام محمد الحراري: ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنيين السادس والسابع الميلادي، شعبة التثقيف والاعلام، طرابلس، 1998م

[64] ـ عبدالله عنان: نهاية الاندلس، ص 402

22- الدولاني عبد العزيز: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار كراس للنشر، تونس، 1981م
23- بازامة محمد مصطفى: بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا للنشر، بنغازي،1968م
24- مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة،1350هـ
25-كواندور: قراصنة سلا، تعريب محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب ودت.